مكتبة تخصصية
تاريخ الإسلام والحضارة
١٣٣٠

المورد

ة تراثية فصلية محكمة

رها دار الشؤون الثقافية العامة ـ وزارة الثقافة والاعلام ـ جمهورية العراق

د الثامن والعشرون ـ العدد الثاني ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

رئيس التحرير
الدكتور محمد عبد المطلب البكاء

الهيأة الاستشارية

الاستاذ هلال ناجي

أ . د . سامي مكي العاني

أ . د . محمود عبد الله الجادر

أ . د . عماد عبد السلام رؤوف

الاستاذ اسامة النقشبندي

مدير التحرير

د. هدى شوكت بهنام

سكرتير التحرير

د . مي فاضل الجبوري

التصميم والاخراج الفني

جنان عدنان

التصحيح اللغوي

نجلة محمد

☐ عنوان المراسلة

☐ دار الشؤون الثقافية العامة ـ الاعظمية

ص. ب ـ ٤٠٣٢ ـ بغداد

جمهورية العراق

في هذا العدد

اندلعت ثورة العشرين ، الثورة القومية ، العربية ، الشعبية إثر إعلان بريطانيا عن نيتها فرض الانتداب تنفيذاً لمقررات مؤتمر سان ريمو ، فقد نشبت الثورة ضد الاحتلال البريطاني ، وضد سياسة التجزئة التي عمدت القوى الاستعمارية الكبرى الى تنفيذها ، وبذا تعد هذه الثورة واحدة من سلسلة الثورات التي شهدها الوطن العربي ابتداءً من عام ١٩١٩ تعبيراً عن رفض الامة العربية للاستعمار والتجزئة البغيضة والتي شكلت بمجملها انعكاسات استراتيجية واضحة على الصعيدين العربي والعالمي بعد أن أثرت في الموقف العام للاستعمار البريطاني البغيض في المنطقة ، وفي وضعه السياسي والعسكري في العالم ..

إن احدى أهم نتائج الثورة ، هو ماظهر من وحدة صف وطني في الدفاع عن حرية العراق واستقلاله على الرغم من كل المحاولات البريطانية الخبيثة التي كانت تعمل جاهدة على تغذية ما من شانه إحداث شرخ في صفوف أبناء الشعب الواحد الموحد .

وفي مواجهة الثورة ، حشد المحتلون البريطانيون أعداداً ضخمة من الجنود المجهزين بأحدث الاسلحة ، إلا أن ذلك لم يحل دون وقوع خسائر بشرية ومادية فادحة في صفوف المحتلين ، فقد ذهبت بعض التقديرات الغربية الى أن ثورة العشرين كلفت بريطانيا عشرات آلاف من القتلى والجرحى في حين قدر جورج انطونيوس في كتابه (يقظة العرب) أنها كلفت بريطانيا ، فضلاً عن الاصابات أربعين مليوناً من الجنيهات الاسترلينية .

ملف العدد : ثورة العشرين ص٣٧ ـ ٦١ .

الاسعار: العراق ٢٥٠ ديناراً، الاردن: ديناران، الامارات: ٣٠ درهماً، اليمن: ٣٠ ريالاً، مصر: ٣ جنيهات، ليبيا: ثلاثة دنانير، الجزائر: ٦٠ ديناراً، تونس: ديناران، المغرب: ٣٠ درهماً.

المشاركة السنوية: ٥٥ دولاراً في الدول العربية، ٨٠ دولاراً في دول العالم الاخرى.

www.dorat-ghawas.com

ظاهرة الاغتراب في شعر طرفة بن العبد

دراسة في دلالات اللغة وايحاءاتها

د . عبد الفتاح نافع

جامعة اليرموك - الاردن

* تمهيد :

قليل هم الشعراء القدماء الذين رسموا لهم خطاً فكرياً مستقلاً التزموا به فميزهم عن غيرهم . فالنهج التقليدي الصارم الذي فرض نفسه حال بين الشعراء وبين حرية التعبير عن فكرهم ومشاعرهم ، فأوقع الشعراء في فوضى الفكر وفوضى التعبير معا . فقد انسحبت حمى التقليد حتى على كبار الشعراء ، فتركت خللا في شخصياتهم ، وحادت بهم عن الطريق الذي كان ينبغي أن تلتزم به الشخصية الشاعرة في نقل ما تحسه وما تشعر به . وأحدثت اضطرابا فكريا في صور كثير منهم ، صانعة هوة كبيرة بين شخصية الشاعر وبين فكره وأحاسيسه .

كما ان التزام الشاعر الراسخ بالخط القبلي ، لا يخرج عنه ، كان يفرض هو الآخر على الشاعر رسوماً خاصة يُقبل عليها بإرادته وبغير ارادته فتأتي هذه الرسوم فيها تعبر عن شخصه أحياناً وفيها خروج عن نزعاته وأهوائه في أحيان أخرى . وكانت القبيلة بأعرافها وتقاليدها وحروبها وأيامها . هي الصورة الماثلة دائماً أمام الشاعر تشغل عليه فكره ومشاعره وتفرض عليه نهجاً فكرياً جماعياً تذوب فيه شخصيته وتضمحل فرديته فلا تعود نزعاته وطموحاته وآماله تشكل شيئاً ذا بال .

ثم فرضت الطبيعة بقسوتها وبما تمثله من حرمان خطاً قهرياً ثالثاً للشاعر لم يجد بداً من السير فيه . وبين فرضيات القبيلة الصارمة وقوانين الطبيعة العاتية ، وجد الشاعر نفسه يعيش جوا من القلق والخوف والترقب والاغتراب . وقد تأصل هذا الشعور في نفسه وبدا واضحا في تعابيره وفنه .

واذا كانت الطبيعة قيداً لا يمكن الفكاك منه . فقد وجد بعض الشعراء في أنفسهم جرأة على التململ ثم التمرد على القيد القبلي . فانطلقوا يعبرون عن ضيقهم بالتزامات القبيلة ونهجها الصارم غير مبالين بما يجره هذا عليهم من عنت ومشقة وعزلة .

www.dorat-ghawas.com

وكان طرفة بن العبد أحد الشعراء الذين شقوا عصا الطاعة على القبيلة فلم يكتف بالتململ والتذمر ، بل كان جريئاً في عرض فكره واضحاً في طرح ارائه فجاء شعره صورة صادقة لشخصيته المتمردة الثائرة .

ولم يكن الخروج على نظام القبيلة سهلاً هيناً ، فالمنطق القبلي الجماعي كان يفرض نفسه على كل مجريات الحياة . وخروج الفرد عليه يعني عزلته ونبذه وفرض الحجر عليه . وأحس طرفه هذا جميعه فعبر عن غربته وسط أهله وقومه ، وخدمته اللغة خدمة جلى ، فانسابت تعابير تصور حزنه وألمه وضياعه . فكان صورة ماثلة للاحساس بغربة الفكر الفردي وسط الفكر الجماعي المتسلط .

وقدمنا في دراستنا لظاهرة الاغتراب في شعر طرفة نبذة عن اغتراب الجاهليين عامة ، ورأينا في اغترابهم صورة من قهر الطبيعة وتسلط القبيلة ، وان انقياد الفرد الأعمى للقبيلة كان يخلق في نفسه حالة من عدم الاستقرار وعدم التوازن ، ويرسم على وجهه علامات الكآبة والحزن ويؤصل لديه حالة من اليأس وعدم الثقة .

ثم درسنا إرهاصات الاغتراب في شعر طرفة فوجدنا بعضها ذاتياً نابعاً من معاملة الأهل والاقربين وبعضها عاماً يرتبط بنهج القبيلة وتقاليدها . ومن ثم كان لابد أن نتحدث عن فخره أولاً ، فهو في نظرنا يمثل لديه بداية الصراع بين المنطق الفردي والمنطق الجماعي . ويؤكد ارتداد الفرد الى ذاته يستوحي منها ويستقي مثلها ومبادئها . وقد رأينا في فخره أيضاً لوناً من الاغتراب يمثل حيرة الفتى وتذبذبه بين مفاهيمه الخاصة ومفاهيم القبيلة العامة .

واذا كان التقليد قد فرض عليه أن يبدأ بالحديث عن الديار والمرأة ، فقد وجدنا في لغة هذا الحديث شيئاً من اغتراب النفس وسعيها الدائب نحو رمز أو أمل تتعلق به فتبثه شجونها وآلامها . ومن ثم بدت صورة الديار لديه موحشة ترمز الى الفناء . وجاءت صورة المرأة مقترنة بها أشد الاقتران لتبعث شيئاً من البصيص والأمل . وعلى الرغم مما في حديث النقاد عن نزق طرفة وشهواته واندفاعه نحو الحس ، فصورة المرأة – كما تبدو من لغته – هي صورة باهتة تشعر بالحزن والحاجة الى الحنان والعطف أكثر مما تشعر بالشهوة ودوافع الحس .

ومثلت الرحلة في قصيدته رحلة الحياة باعبائها ومشقاتها وصراع الانسان من أجل أن يكون . وجاءت ناقته طوداً شامخاً يمثل التحدي والقوة والأمان . وخدمته اللغة في هذا خدمة كبرى ، فجاءت في تعابيرها وإيحاءاتها لتمثل هذا الخوف الكامن في النفس وهذه الحاجة الى شيء ، أي شيء ، يجد فيه الانسان ملاذاً يلجأ اليه فيحميه ويقيه .

ثم درسنا في نهاية المطاف فكره وفلسفته ورؤيته للحياة والمصير ، ورأينا في هذا جميعاً رؤية جديدة للحياة تختلف عن رؤية غيره من الشعراء ، وأن ايمانه بآرائه وجرأته في التعبير عنها كان سبباً رئيساً في عزلته وغربته .

وإذا كنا قد وجدنا في طرفة جديداً ، فهو هذه القدرة الكبيرة على تطويع اللغة وتسخيرها لخدمة فنه . فقد جاءت لغته بما فيها من إيحاءات واضحة الدلالة على مشاعره الباطنة وأحساساته الحادة نحو الحياة والأحياء ، فرسمت بصدق وإخلاص مساره الفكري ونهجه الشاعري .

* اغتراب الجاهليين صورة من قهر الطبيعة وتسلط القبيلة :

كان للطبيعة الصحراوية وأسلوب الحياة الرعوي والنظام القبلي القائم على احترام العصبية أثرها الكبير على الشاعر الجاهلي . فحياة الصحراء بما تحمله من طابع التحرك خلقت في نفسه صورة من عدم الاستقرار ، وأصلت فيه حالة من القلق والضياع ورغبة شديدة دائمة في إيجاد موطن جديد يلقي فيه عصا الترحال ولو إلى حين . وقد تركت هذه الحياة بما فيها من شقاء وألم وتشرد أثرها في تكوين الانسان الجاهلي العضوي والنفسي والمعاشي [1] .

وشكل الرحيل عنصرا أساسياً في حياة العربي المعاشة ، وأضحى الاغتراب في بيئته معادلا موضوعياً للعقم والجدب والعدم . وارتبطت نفوس القوم ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة وتقلباتها . فهم يراقبونها في هدوئها وفي اضطرابها ، يستبشرون بالبرق ويهللون عند انقشاع السماء . ففي المطر حياة واستقرار وفي انقطاعه حرارة وسموم ورمال ثم رحيل وشقاء . وشكل هذا الارتباط بالطبيعة وهذا الترقب الدائم لما تجود به عاملاً أساسياً في هذا القلق والهيام الذي نحس به حيثما نقرأ في الشعر العربي القديم . وانعكس انعكاساً واضحاً في أدبهم وأحاديثهم . وترك معالمه في قسمات وجوههم « فجعل العربي كئيباً صارماً يغلب عليه الوجد ،

www.dorat-ghawas.com

موسيقاه ذات نغمة واحدة متكررة غابسة حزينة ولغة غنية بالالفاظ ، إذا كانت تلك الألفاظ من ضروريات الحياة في المعيشة البدوية وشعره ذا حدود معينة مرسومة »[٢] .

وكم يبدو جزع الشعراء شديداً من الرحيل . فالرحيل معناه الخوض في غياهب المجهول والاستسلام لمعطيات القدر بخيره وشره - ولعل في هذه الاخيرة كما يبدو من اشعارهم شيئاً من المكروه يتربص بهم ويترقبهم .

ونلمح هذا الجزع واضحاً أشد الوضوح في زفرات ناقة المثقب العبدي وحزنها وشكاتها من هذا الرحيل المستمر الذي لا ينتهي :

إذا ما قمت أرحلها بليل
تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضيني
أهذا دينه أبداً ودبني
أكل الدهر حل وارتحال
أيبقى علي
ولا يقيني

ويشكل عنصر الخوف من المجهول ظاهرة مشتركة لدى الشعراء الجاهليين جميعاً وتتمثل على أتم ما تتمثل في حديثهم عن الصحراء المقفرة العمياء وسكونها المخيف المظلم حيث يسير فيها الشاعر على غير هدى لا يتمثل طريقة ولا يسمع إلا عزيف الجن ، وحيث تتلفع الاكام بالسراب وتركد فيها النجوم ، وينعكس هذا جميعاً في عيون الرواحل فيبدو فيها الفزع والحيرة والدهشة والخوف القاتل[٤] .

وليست رحلة الصحراء في حقيقة الأمر سوى رحلة الحياة بكل ما تحمله من مشقة وتكاليف وأرق ، في بيئة كل ما فيها يحمل عنصر الشقاء والالم ، ولا يحصل فيها الانسان على قوته إلا قوة واغتصاباً . وليس حديث الشعراء عن جو الصحراء في صيفها اللافح وشتائها القارس ، أو عن هذا الصراع الدائم بين حيوانها المفترس وحيوانها الوديع ، سوى سرد لمشاكل النفس والامها في تحصيل قوتها . وليس القلق الذي يعانيه الشاعر والذي يتململ في أعماق البقرة والاتان وحمار الوحش سوى تعبير عن السعي الدائب للوصول الى الشاطىء الذي ترغب أن تستقر فيه النفس وتجد ملاذا .

وما يكاد الشاعر يستقر في موطن جديد حتى يبدأ الحنين وتبدأ معه الذكريات ويغزو الحس بالاغتراب نفس الشاعر وأعماقه ، فقد افتقد الشاعر الافه وأحباءه وجيرته ، وأفتقد الارض التي انغرست فيها شجونه وأحاديث نفسه ، فإذا آلامه وأحزانه تفيض بكاء وغصصاً على تلك الديار والذكريات تتحدث عن حب دفين أو ماض عزيز . وإذا بكاء الديار ورحيل المحبوبة وقصة الظعائن واحدة مشتركة لدى الشعراء الجاهليين مهما اختلفت طباعهم وتنافرت أمزجتهم ، فهي لا تختلف عند امرىء القيس المتعهر عنها عند طرفة المتشائم ، ولا عند لبيد برجولته الغامرة عنها عند زهير العف أو عمرو بن كلثوم الفاتك[٥] ولا غرابة في هذا فالحنين والشوق والتشبث بالماضي كلها أمور مرتبطة بعواطف انسانية مشتركة خالدة لدى جميع الشعوب ، وما الحديث عنها سوى علامة ارتباط بين المكان والسكان ، بين الوطن وأهله ، بين البيئة والنفس .

وقد قوت هذه الحياة غير المستقرة من صلة الفرد بالقبيلة ، ومن صلة القبيلة بالفرد . وأخضعت الفرد لعرف قبلي صارم شديد لا يحق له أن يخرج عليه[٦] وأضحى شخصه القبلي لا يأخذ أبعاده الحقيقية الا في قبيلته ، فلا نصرة ولا كرامة ولا عيش خارج إطار القبيلة[٧] .

وكم كان هذا الفرد يشعر بالحزن والاسى والتيه إذا ما طردته قبيلته بسبب خروجه على أعرافها ، أو تخاذله عن عصبيتها . فلم يكن أمامه والحال هذه سوى الضياع والمرارة والغربة والتعبير عن هذه المشاعر بحنين جارف لقومه وأهله نجده متناثراً في ثنايا الشعر الجاهلي .

وهكذا عاش الفرد العربي غريباً ، فهو مقهور من الطبيعة حيناً ، ومقهور من قومه حيناً آخر . تطارده الطبيعة بخشونتها وجفافها ، وتطارده القبيلة بما تفرضه عليه من التزامات وأعراف وقيود يحس وطأتها فيقبل بها راغماً أو يطرد . ولما كان العربي مفطوراً على الحرية عاشقاً لها يملأه الشعور بكرامته الشخصية حتى ليثور على كل شكل من أشكال السلطة[٨] . فقد أحس كثير من الشعراء بالاغتراب وسط قومهم ، فساهم هذا الإحساس في تعميق شعورهم بالقلق والاضطراب ثم التمرد في نهاية المطاف .

لقد حالت التزامات القبيلة بين الشاعر وبين حريته وفرضت عليه ما يستطيع وما لا يستطيع فأدى ذلك بالشاعر إلى لون من الاغتراب الذاتي أحس معه بتصدع ذاته وانشقاقها لعدم تواؤمها مع المجتمع المحيط بها[٩] .

ونشأت بين الشاعر وبين مجتمعه حالة تشبه العداء ، حيث شعر بأنه موزع بين عالمين لا يشعر بالاطمئنان في أحدهما . وفي غمرة من الإحساس بالألم والتصدع والحزن والانكسار السياسي والاجتماعي لم يملك الشاعر إلا أن ينصرف إلى ذاته وإلى التحدي والتمرد والسخط والانطلاق والتحرر من القيم والتقاليد الاجتماعية[١٠] .

وإذا حِسُ الاغتراب وخيبة الأمل وظاهرة عدم الانتماء - الناجمة عن الاحساس بضيق الحياة وعبثيتها والاستشعار بالعجز عن تبديل الواقع - تدفع الشاعر إلى مواقف سلبية لا مبالية[١١] . وقد ظهرت هذه المواقف باتخاذ القوة والغارة والخمر واللهو واللذة والمجون وسائل هرب وطرق عبور الى حياة أفضل[١٢] .

وتتضح هذه الغربة التي نتحدث عنها في شعر كثير من الشعراء الجاهليين نقرأها لدى الصعاليك « فنحس تلك المرارة التي تفيض بها مشاعرهم وهم يهيمون على وجوههم في الفلوات ، أحراراً فيما يبدو ومشردين غرباء في الواقع . ترك الخلع في وجدانهم أثراً عميقاً نافذاً سجلته أشعارهم المشحونة بأشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية ، وقسوة الحرمان من السكن والأهل

www.dorat-ghawas.com

والدار . بل إن سلوكهم نفسه كان يطوي وراء الاستهانة بالحياة والانطلاق في الفضاء العريض والمغامرة الفتاكة سخرية مريرة بالحرية الفردية وشعوراً عميقاً بالتمزق والضياع[١٣] .

ونقرأ الغربة في شعر امرىء القيس هائماً شريداً يبحث عن ثأر أو ملك في بلاد الرومان -حيث غربة الوطن وغربة الاهل معاً[١٤] ونطالعها في شعر عنترة وقد تنكر له أهله فقاسى الأمرّين من لونه وعبوديته فسكب إحساسه العنيف بالهوان والضياع شعراً[١٥] . ونلمحها في شعر النابغة طريداً شريداً يملأه الخوف من النعمان وتساوره الظنون والشكوك[١٦] .

ونقرأها أكثر ما نقرأها في شعر طرفة بن العبد - موضوع بحثنا - هذا الشاب الثائر على كل شيء ، والذي يبحث عن المتعة حيث وجدت متمرداً على القيم رافضاً للأعراف واضعاً منطقه فوق منطق القبيلة مستهيناً بمصيره وما يمكن أن يؤدي إليه استهتاره من رفض أو طرد أو تشتت .

- ٢ -

* إرهاصات الاغتراب في شعر طرفة :

إذا جاز أن نعتبر الفن مبعث غرور وإعجاب بالنفس ، ووسيلة للتباهي والتطاول فطرفة شاعر مقل مبدع ، بل هو أشعر الناس واحدة ، وأجودهم طويلة ، وأفضل الناس في معلقته عند العلماء[١٧] .

وإذا كان الحسب دافعاً للتفاخر فطرفة كان كريم المحتد وفي حسب من قومه[١٨] . وقد استشعر طرفة هذا جميعاً ، استشعر نبوغه مبكراً ، فاندفع إلى فنه مهتما به مؤمنا بقيمته مهملاً ما أنيط به من عمل لرعاية إبل اخيه معبد متسببا في ضياعها[١٩] . واستشعر حسبه الضخم في قومه ، فاعتز بنفسه وانطلق يتغنى نسبه الكريم وشرف انتمائه وحميد فعاله في زهو وترفع ومباهاة وتجرأ على أهله وذويه فهجاهم وهجا غيرهم[٢٠] .

وبدا اعتداده بنفسه جلياً واضحاً منذ صباه ، فقد ثار في وجه أعمامه عندما ظلموه فاغتصبوا حقاً لأمه « وردة » واعتدوا على ما آل اليه من إرث أبيه رافضين أن يقسموا هذا الإرث ويعطوا كل ذي حق حقه :

ما تنظرون بحق وردة فيكم
صُفُر البتون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيرُه
حتى تظل له الدماء تصبب
والظلم فرق بين حَيِّ واثل
بكر تساقيها المنايا تغلب
والصدق يألفه الكريم المرتحى
والكذب يألفه الدني الأخيب
أدوا الحقوق تفر لكم أعراضكم
أكل الدهر حل وارتحال
أما يبقى علي ويقيني[٢١]

نقرأ هذا العتاب المر ، وهذا التهديد المبطن ، فإذا الغلام يبدو كهلاً يقدم النصيحة ويحذر من العواقب ، ويقف موقف المرشد الحكيم لا موقف المستعطف الراجي ، نفسه تتنزى ألما مما يرى فتصقله التجربة مبكراً وتخلع عليه ثوب الحكمة قبل الأوان . وتؤصل لديه حس الاغتراب وهو في سن النشأة لما يبلغ الحلم بعد . لقد فقد والده فنشأ يتيما ، ترعاه والدته وكان يتوقع من أعمامه أن يحدبوا عليه فيحيطوه برعايتهم فإذا هم يغصبون حقه ويسيئون الى والدته . وينفضّ عنه الصحب والرفاق فلا يجد من يقف الى جانبه فينطلق لسانه عليهم جميعاً باللوم والعتاب فاضحاً زيف صداقتهم هاتكاً الستر عن سوء طواياهم كاشفاً مخازيهم ومفاسدهم[٢٢]

وقد حز في نفسه ما يرى من مواقف ، فأقبل على اللذات منفقاً ما يملك مسرفاً في اللهو والعبث ، وكأنه بذلك إنما يهرب من ظلم أقاربه وجورهم وزيف ادعاءاتهم المثالية الى عالم آخر مكشوف حيث لا زيف ولا خداع ولا ادعاء ! ويتمادى في مجونه واستهتاره ، فتسخط عليه عشيرته ، وتنفضُ عنه وتتحامى مخالطته وتعزله كالبعير الأجرب لا يقرب منه أحد :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلُّها
وأفردت إفراد البعير المعبد[٢٣]

ويُصرُّ الفتى على مبدأ الرفض لكل ما تشير به القبيلة عليه ، ويتحول استهتاره وعبثه الى مذهب يقتنع به أشد الاقتناع ، بل ويُدافع عنه دفاع الواثق من صحته ، ويصقل هذا المذهب شاعرية فذّة فإذا هو منهج وفلسفة لها أبعادها ولها حججها وبراهينها كما سنرى .

ويشعر الفتى أنه غريب في قومه ، وتبدأ أمواله بالتناقص والفناء ، وينظر حوله فيرى الرفاق والاصحاب قد انفضوا من حوله ، وإذا هو وحيد لا يؤمن بفكره أحد ، وإذا وُجد من هم مقتنعون بفكره فهم لا يملكون جرأة التعبير عن ميولهم وأهوائهم ويشد عصا الترحال هائماً على وجهه تقذف به النوى في أحياء العرب ومفاوز الصحراء ، ليس له من صديق سوى ناقته وما يحمل من متاع .

وكم كانت الفترة التي قضاها بعيداً عن قومه وحيه قاسية ومؤلمة ، فقد تقاذفته الأسفار فأبعدته عن مواطن طفولته ومراتع صباه وأماكن ذكرياته . وفترة الصبا وأوائل الشباب وما يعلق بها من شجون هي أكثر الفترات علوقاً في الذهن ، تظل تقدح في ذهن الإنسان وقلبه طيلة مراحل حياته المتتالية . لقد افتقد الأهل الخلص والاحبة الأوفياء ولم يعد يرى سوى وجوه متجهمة وسحن غريبة ، فتركت الغربة في نفسه وشخصيته أثراً عميقاً وجرحاً لا يندمل فهمست نفسه بشعر عاطفي حزين فيه مناجاة للديار والأحبة والأهل :

قفي ودّعينا اليوم يا بنة مالك
وعوجي علينا من صدور جمالك

www.dorat-ghawas.com

قفي لا يكن هذا تعلّة، وصلنا
لبين، ولا ذا حظنا من نوالك
أخبرك أن الحي فرق بينهم
نوى، غربة ضرارة لي كذلك
ولا غرو إلاجارتي وسؤالها
ألاهل لنا أهل؟ سئلت كذلك
تُغَيِّرُ سيري في البلاد ورحلتي
ألارب دار لي سوى حُر دارك
وليس امرؤ أفنى الشباب مجاوراً
سوى حيه الا كآخر هالك[٢٤]

إنها وقفات زاخرة بالشعور الصادق تغمرها انفعالات النفس، هي وقفة وداع توحي منذ بدايتها بنفسية حزينة ممزقة ملوعة بفراق الأحبة. ويبدو أن « ابنة مالك » ليست أكثر من رمز لكل أحبته في الديار، راح يسكب في أسماعها كل عواطف الألم والحزن التي يشعر بها الإنسان في لحظة الفراق.

إنها غربة فيها كل الضرر للحي كله وله بالذات. وكم يحمل سؤال جارته اياه آمالك أهل تأوي اليهم؟ من مرارة وألم، فقد فجر هذا التساؤل تباريح شوقه للأهل وأثار لواعج حنينه لدياره وربوعهم فجاءت هذه الدعوة العريرة على جارته من أعماقه أن تذوق مثلما يذوق من ألم الغربة ولذعه الفراق وأن تسأل السؤال الذي سألته. وعندما تتساءل جارته معيرة اياه تشرده وكثرة ارتحاله تتناهى الى أسماعنا هذه الآهة الحرّى وهذه الزفرة يُصعّدها من الأعماق « رُبَّ دار لي سوى حر دارك » وهي عبارة تحمل ما تحمل من شحن شعورية تفيض بها نفس المغترب المحزون الذي غلبه الشوق. ولا يلبث في نهاية لوحته الحزينة أن يؤوب الى نفسه الكئيبة التي حطمتها الغربة القاتلة فيصور الإنسان المغترب عن حيه بإنسان ميت لما يلقى من الوحدة والوحشة والهوان[٢٥].

ويبدو أن طرفة في ابتعاده عن قومه لم يظفر بغير الاغتراب والشقاء والحسرات والحنين، فلحظات السرور التي أحس بها أحيانا سرعان ما كانت تتلاشى ليحل مكانها بؤس وألم. هبط في غربته على عمرو بن هند ملك الحيرة وأخيه قابوس فانزلاه منزلاً حسناً، وأمداه بما تستريح إليه النفس، ولكنهما لم يعبئا بطموحه وتطلعاته وأمانيه، وأحس باستعلائهما واستخفافهما بالناس وبحياتهم، وزاد في شقائه خيبة أمله بمقتل صديقه « عمرو بن أمامة » وكان قد بنى عليه الآمال، ثم خذلان عمرو بن هند له عندما طلب منه أن يأخذ بثأره من قاتليه. وألح عليه الحنين فعاد الى دياره وأهله وديعاً يفيض عطفاً عليهم وإخلاصاً لهم:

ولقد كنت عليكم عاتبا
فعقبتم بذنوب غير مر
كنت فيكم كالمغطي رأسه
فانجلى اليوم قناعي وخمر
سادراً أحسب غيي رشداً
فتناهيت وقد صابت بقر[٢٦]

عاد طرفة الى قومه يجر أثواب الخيبة، فعادت معه غربته من جديد، فقسوة الواقع لم تتغير، ومرارة العلاقات لم تزل على حالها. وانطلق يتغنى فنه مازجاً الفخر والغزل وحديث الديار والذكريات وفلسفته الساذجة حول المصير بحزن دفين ينقل اغتراب نفسه وتحدياتها ومحاولاتها المشبوبة لإثبات تفردها.

- ٣ -

* فخره حيرة بين وعي الذات وفرضيات القبيلة:

لم يكن إعجاب القدماء بشعر طرفة - على قلته - مبنياً على العدم، فشخصية طرفة الفتية فرضت نفسها على الظروف والاحداث، وظهرت شامخة في كبرياء تمزج الأهواء بالفن، والشعور بالفكر، فتنقل داخل النفس نقلًا صريحاً لا مواربة فيه ولا رياء، والعرب بطبعهم مفطورون على الصراحة والوضوح فوجدوا في شعر طرفة صدقاً شعورياً عارماً نابعاً من القلب والمشاعر متوهجاً بحرارة الانفعال صقلته الظروف فابعدته عن المجاملة والنفاق ودفعته الى الصراحة والجراة والجهر بما يعتقد[٢٧]. لقد جاء فنه صورة نقية لحياته الهائجة المضطربة فنقل نأمات نفسه وخلجات خواطره فجذب الأنظار الى صدق شعوره وفطرة نفسه وبساطة تعبيره. وكم هو مؤلم أن يكون الشاعر في مثل هذه الصراحة والوضوح وأن يتعامى الآخرون عن فهمه او الاستماع اليه! لقد ارتدت أحزان الشاعر الى نفسه وأحس أنه غريب في فكره وغريب في مشاعره، ينظر اليه الجميع نظرة فيها كثير من الاستغراب وكثير من الاستهجان. وتجرّع الفتى آلامه وغصصه، فإذا كان قومه قد عزلوه فهو يحس في صميم كيانه أنه منهم وإليهم، وإذا كانوا هم يرفضونه فهو متعلق بهم عاشق لانتمائه اليهم. وعبْر هذه المشاعر والأحاسيس تغنى طرفة أمجاد قومه ومآثرهم وشدا بالحان القبيلة ومَجّد سيرتها.

وهو في فخره لم ينس نفسه مطلقاً، ولم تتوار شخصيته، ولم تذب في بوتقة القبيلة كما يرى بعضهم[٢٨] فهو يتغنى خلائقه وسجاياه ويسعى دوماً لتحقيق ذاته وإبرازها فشعره يدور كثيراً حول محور الذات ولا سيما في معلقته. وإذا كنا نجده يشدو بمآثر القبيلة وأيامها بضمير الجمع « نحن » ويحله محل ضمير المتكلم المفرد في فخره الفردي « هم ليس فيما وقع إلينا من شعر الجاهلية ما ينطق بأن صاحبه شاعر قبيلة بمجموع هذا المعنى غير شعر طرفة، فهو إذا فخر رأيته يتكلم بلسان ملك قد ضمن طاعة قومه واستمسك بميثاقهم »[٢٩]، فإننا نجده يعزف نفحات الاعتداد بالنفس فتنبعث هذه النفحات عالية ملفتة تطبع في الذهن شخصية طرفة الفتية المتوثبة - وبين إحساس الشاعر بتفرده وتفوقه وعلو منزلته وبين إحساسه بالتبعات والالتزامات

www.dorat-ghawas.com

تجاه قومه ، اضطربت نفسه ووقفت حائرة بين الإخلاص للنفس ودوافعها وبين الطاعة للموروث بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . فهو في حين يرى أنه لا ينبغي أن يعامل كغيره من الناس :

ولا تجعليني كامرىء ليس همه
كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي[٣٠]

يشعر شعوراً يملأ كيانه أنه عضو فاعل في الجماعة لا يستطيع أن يتخلى عنها مهما فعلت معه ، ولا يتردد في الذود عن كيانها والتضحية من أجلها مهما كانت نظرتها إليه :

إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أنني
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد[٣١]

وهذا الاضطراب والتردد بين أن يكون أولا يكون أصّل في نفسه القلق والخوف والشك وجعل بعضهم أن يرى في فخره مرارة عميقة مغلفة بالسعادة فهو يعيش مع الناس في ظاهر الامر وبعيد عنهم في حقيقة الامر[٣٢] . وقد بدت هذه المرارة التي يحسها الشاعر في فخره ، فصبغت بعضه بصبغة قاتمة حزينة يوحي كل ما فيها بالخوف والتراجع ، ولنمعن النظر في دلالات لغة هذه الأبيات التي يصور فيها كرم قومه وقت الشدة لنتلمس فيها ما ندعي :

إنا إذا ما الغيم أمسى كأنه
سماحيقُ ثَرْب وهي حمراء حرجف
وجاءت بصُرّادٍ كأن صقيعة
خلال البيوت والمنازل كرسف
وجاء قريع الشول يرقص قبلها
الى الدفء ، والراعي لها متحرف
نرد العشار المنقيات شظيها
الى الحي حتى يمرع المتصيف
تبيت إماء الحي تطهى قدورنا
ويأوى الينا الأشعث المتجرف[٣٣]

ألسنا نرى أن فخره بقومه واعتزازه بكرمهم قد ذاب واضمحل وسط هذه الصورة للطبيعة وما تتركه من أثر؟ فالشتاء بسمائه الكالحة المغبرة الحمراء ، والرياح العاصفة بترابها الذي يعمى العيون ، والبرد القارس الذي يذرى معه الجليد المتساقط فيغشى العيون والبيوت والمنازل ، وهذا الفحل من الإبل الذي يجرى مسرعاً يرتعد برداً فيسبق أنثاه على غير عادته طلباً للدفء ، ثم هذا الراعي الذي تخلف عن إبله بعيداً خوفاً من البرد ، ثم خاتمة هذه الصورة بهذا الأشعث الذي جرفت السنون ماله وغيرت من سحنته . كل هذه الصور بطابعها القاتم المتراكم غطت على كرم العشيرة وأهله ، ولا يملك الممعن في أبعادها الا ان يحس بأنه محاصر خائف يبحث عن ملجأ أو مأوى . ثم الا يمكن ان نتجاوز فندعي ان قريع الشول الذي يسعى لاهثاً الى الدفء والراحة ، والراعي الذي يقدم رجلًا ويؤخر أخرى خوفاً مما تحمله الطبيعة في ثناياها . وهذا الأشعث المغبر الذي فقد ماله واختلفت سحنته ليسوا سوى شاعرنا المغترب في بحثه الدائب عن شاطىء يستقر على اطرافه !

٤ - * غزله أمل ضائع ورمز رغبة مفقودة .

بكاء الديار ظاهرة مشتركة عند الشعراء الجاهليين ، وهي إذا كانت تحمل في طياتها دلالة تقليد وتبعية فلا أحد ينكر أنها ترتبط بحقائق نفسية[٣٤] .

ولا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا من واقع العرب القائم على التنقل والارتحال وما يخلفه عدم الاستقرار من حزن وألم في النفوس . فالبكاء على الطلل حزن إيجابي يرمز لتعلق الشاعر بالماضي وحرصه على بقاء ذكريات الماضي في نفسه بكل ما تحمله من أحزان وأفراح ، فالماضي على هذه الصورة لا يعود فناءً أو عدماً لأن الأثر باق والشاعر ينفخ فيه من روحه . وإذا كان الزمن قد مضى فالاطلال رموز دلالة وبكاؤها انقاذ للذكريات من عالم النسيان والمغيب واستحضار لها الى دنيا التذكر والمشاهدة[٣٥] .

وطرفة يقف على الديار كما وقف غيره ، ويربط حبه لها بحب أهله وعشيرته فلا وطن بلا حبيب ولا أهل[٣٦] . وهو في وقفته حزين حائر يخلع حزنه وغربته وضياعه على الديار ، ويسكب كآبة نفسه على عناصر الطبيعة من رياح وسحب ومطر ، فأطلال هند رسوم دارسة لعبت بها الرياح الهوج وغطاها السحاب الاسود وانسكب فوق ربوعها المزن الهتون ، فانقلبت الأوضاع وتغير كل شيء ، وحدثت المفارقة الكبرى حيث تبدلت السعادة والبهجة الى فراغ وخلاء وعزلة :

فغيرن آيات الديار مع البلى
وليس على ريب الزمان كفيل
بما قد أرى الحي الجميع بغبطة
إذا الحي حي والحلول حلول[٣٧]

إنه إحساس الشاعر بالفراغ والتحول والقهر ووقوفه عاجزاً أمام حركة التغيير وعجلة الزمن .

فاذا ما صور السحب التي تغطي طلل خولة لم ير فيها - مع كثرة رعدها - إلا إبلًا عوذا ضلّت عنها رباعها فهي تحنُّ إليها ، وخص العوذ لأنها أوله على أولادها ، لحدثان نتاجها :

كأنَّ الخلايا فيه ضَلّت رباعها
وعوذا إذا ما هزه رعده احتفل[٣٨]

ويبدو لنا أن هذا الضلال وهذا الحنين اللذان يتحدث عنهما ليسا أكثر من صدى لمشاعره الباطنة تنساب في تعابيره بين حين وآخر .

وطرفة يقرن الطلل بذكر المرأة باستمرار ، وهو لا يجمع بينهما في موقف واحد عبثاً واعتباطاً . بل يجمع بينهما ليرمز إلى الحياة والموت ، إلى الحب المهدد دائماً برحيل المحبوبة ، كذلك الحياة المهددة بالخراب ممثلة بالوقوف على الأطلال المقفرة ، إنه انعكاس لذلك الصراع الأبدى في نفس الإنسان وفي الحياة من حوله بين حب الحياة وغريزة الموت[٣٩] .

وقد رأى بعضهم أن صور طرفة في غزله مترفة بالرفاهية وغضارة العيش ، تتألق فيها الأضواء والألوان ، وأن صورة المرأة لديه تلائم تصور الشباب المتطلع للذة ، وأنه استجاب لداعي

www.dorat-ghawas.com

الحب ولكن سورة الشباب ونزقه وسكرة الفتوة واعتدادها جعلته يعتصم بعزته وكبريائه[٤٠] .

وقد لاحظنا من دراسة غزل طرفة القليل أن المرأة في شعره ليست أكثر من رمز لأمل يصعب تحقيقه . هي لديه تمثل عتبة استراحة لإنسان تعب ، تبعث في نفسه التفاؤل ولكنه تفاؤل مشوب بالحذر والخوف ، وهي سحابة خصبة حقا ولكنها متعززة نزرة ، يصله رخيم صوتها وشيء من رائحتها العطرة ولكنه لا يمسك سوى الفجيعة والضياع :

كَبَنَاتِ المَخْرِ يَمْأَدْنَ كما
أَنْبَتَ الصيفُ عساليجَ الخَضِر
فجعوني يوم زموا عيرهم
برخيم الصوت ملثوم عطرُ[٤١]

هل يبقى في الذهن لدى قراءة البيتين سوى الفجيعة والرحيل وما يخلفه تعبيره « فجعوني يوم زموا عيرهم » من أثر مؤلم ؟ ومحبوبته مهاة « مطفل منعمة مرفهة حقاً تعيشُ في خصب وتقترِي أفنان الزهر » :

ولها كشحا مهاة مطفل
تقترى بالرمل أفنان الزهر[٤٢]

ولكن ما يعلق بالذهن من كلمة « مطفل » هو الحاجة إلى الحنان والدفء والرعاية وليس الجمال والرشاقة .

ومعشوقته خولة ظبية مرفهة تنتقل وسط خميلة تتهدل فيها الأغصان ، وتتناول من ثمر الآراك ما تشاء :

خذول تراعي ربربا : بخميلة
تناول أطراف البرير وترتدي[٤٣]

ولكنها ظبية « خذول » فهي فزعة ولهة منفردة خذلت صواحبها ، فهي تراقبها وتشرئب بنظرها إليها خشية أن تبتعد عنها .

هي طفل متسائل ، ظبي برىء يصعد بعنقه ليتناول ثمر الآراك يبحث عن الشمس وطبيعة دافئة أم :

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن
مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد[٤٤]

إنها حيرة الشاعر وتساؤلاته تلح عليه وهو يواجه الطلل والخراب[٤٥] فينقل غربته ومعاناته .

إن هذه المرأة – الرمز أو الأمل – لا مجال إلى الوصول إليها مهما بلغت صبوة الشاعر ومهما طال رجاؤه :

فكيف صبوت أو ترجو مهاة
منعمة لا تزار ولا تزور[٤٦]

هي خيال أو طيف ، يؤرق الشاعر في نومه ، يقلق عليه راحته ، ومع ذلك يميل إليه ويعشقه . وكلما أحس أنه قد اقترب من الهدف ، وأن رجاءه قد يتحقق تأبّت وتمنعت وأرته النجم في وقت الظهر :

أرق العين خيال لم يقر
طاف والركب بصحراء يسر
جازت البيد الى أرحلنا
آخر الليل بيعفور خدر
ثم زارتني وصحبي هجع
في خليط بين برد ونمر
تخلس الطرف بعيني برغز
ويخدي رشأ آدم غر
.....
إن تنوله فقد تمنعه
وتريه النجم يجري بالظهر
ظل في عسكرة من حبها
ونأت شحط مزار المدكر[٤٧]

ونظرة عاجلة الى الأبيات ترينا أن الالفاظ التي قامت عليها لا تمثل أكثر من التيه والضياع والأمل المفقود . فالخيال والصحراء والبيد والليل والنوم العميق ومسارقة النظر في دهشة والمنع والمستحيل (جري النجم وقت الظهر) والحيرة والبعد نحو المجهول ، كلها جاءت ضمن تراكيب توحي بهذه الغربة التي يحسها الشاعر فيخلعها على غزله وإذا المرأة المُحَسّة في الشعر الجاهلي رمز لأمل أو مثال يعشقه الشاعر ويسعى خلفه عبثا .

ولعل ما يعزز من وجهة نظرنا قصيدة طرفة :

أتعرف رسم الدار قفراً منازله
كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله[٤٨]

فقد نهج فيها نهجاً عذرياً خالصاً ، فهو لا يحصل من « سلمى » على أكثر من المنى . وهو عاجز تماماً عن ان يصل اليها ، فهي في مكان حصين تحيط به حواجز من الطبيعة والبشر ، ودون الوصول إليها موت وضياع :

سمالك من سلمى خيال ودونها
سواد كثيب عرضه فأمايله
قذو النبر فالاعلام من جانب الحمى
وقف كظهر الترس تجري أساجله
وكم دون سلمى من عدو وبلدة
يَحارُبها الهادي الخفيف ذلاذله

وإذا طرفة في حبه يلتقى بالمرقش الاكبر ، واذا « سلمى طرفة » هي « أسماء المرقش » . فإذا كانت أسماء سبباً في ضياع عقل المرقش وموته فسلمى كانت سبباً في ضياع عقل طرفة ونهايته :

وقد ذهبت سلمى بعقلك كله
فهل غير صيد أحرزته حبائله
كما أحرزت أسماء قلب مرقش
بحب كلمع البرق لاحت مخايله

فإذا علمنا أن قصة المرقش مع حبيبته الضائعة الممنوعة تمثل الجحود ، وانقطاع الحنين عن موضوعه ، والخيانة من قبل الآخرين ، والعقبات المادية اللامتناهية التي تقوم في وجه تحقيق الهدف ، وأن شخصيته غريبة الى حد كبير ، حيث قصر شعره على معاناته الذاتية ، وترفع عن سياسة الصراعات القبلية وشغل بمسألة الوجود في الحب والوجود في الحرمان[٤٩] عرفنا الى أي حد يلتقى مع طرفة في نهجه . واذا أضفنا أن المرقش كان يتخير

www.dorat-ghawas.com

موضوعاً خارجياً هو الصحراء وما فيها من وحشة ومخاوف ليفصح عن داخله ويضمنه خوالج نفسه ، فجاء وصفه الخارجي منطوياً على دلالة داخلية ، وكأنه يعبر عن تفرده ووحشته ومعاندته قدر الطبيعة[٥٠] وجدنا وجه الشبه بينه وبين طرفة كبيراً . ولعل هذا يتضح لنا أكثر في حديثنا التالي حول رحلة الصحراء في شعر طرفة .

• رحلته رحلة حياة ، وناقته رمز تحد وملجأ آمن :

رحلة الصحراء في الشعر الجاهلي هي رحلة تحد للحياة بمشقاتها وأعبائها . إنها رحلة محفوفة بالمخاطر مملوءة بالمفاجآت . ومن ثم فإن عناصر الخوف والقلق والترقب تطغى على هذه الرحلة . ولا يجد الشاعر الجاهلي في مواجهة هذه الأخطار الطبيعية والنفسية سوى اللجوء الى القوة والشدة يصور بهما راحلته ، مسقطاً ما في نفسه عليها . وكأنه يتحدى الطبيعة والقدر المفروض وظروف القهر . ومن ثم فذكر الرحلة والناقة في الشعر القديم ، ليس في نظرنا مقدمة للوصول الى الهدف الاساسي من القصيدة ، وليس مجرد عرض لتعب الشاعر وما واجهه من مشقة وصعاب ليصل الى ممدوحه . بل هو عرض لمشكلة الحياة والمصير وسلطة الاقوى في زمن لا يرحم الضعفاء ! .

والغريب أن هموم الحياة ومشاكلها الملحة هي التي كانت تدفع الشاعر الى الرحيل . هل كان بذلك يستبدل هماً بهم آخر ؟ ربما ! ولكن الهَمّ المنتظر ربما يكون أثره أقل مما هو عليه الواقع السيء ، فهو على الاقل مشوب بالأمل والرجاء .

وطرفة تملأ الهموم نفسه ، فلا يجد ملاذا إلا الصحراء ، ينسى فيها همومه ، ويخفف مما في نفسه :

وانـي لأمضـي الـهـم عنـد احتضـاره
بعـوجـاء مـرقـال تـروح وتغتـدي[٥١]

ويطوف بنا في دروب الصحراء ومسالكها الوعرة ، ممعناً في الجفوة والبداوة ، سواء أكان ذلك على صعيد الأساليب الخشنة ام عن طريق وحشية الالفاظ . فهو يركب متن الغريب ويوغل فيه ، ويحتطب ألفاظه من حطب الصحراء ويلملم تعابيره من فلواتها الموحشة[٥٢] يقول :

وركـوب تـعـزف الجـن بـه
قبـل هـذا الجيـل مـن عـهـد أبـد
وضبـاب سفـر المـاء بـهـا
غـرقـت أولاجـهـا غيـر السـدد
فـهـي مـوتـى لـعـب المـاء بـهـا
في غشـاء سـاقـه السيـل عـدد[٥٣]

فالطريق مخوف موحش ، لا يسمع فيه سوى عزف الجن ، والسيل عارم لا يبقي ولا يذر ، والضباب غرقي ، والغشاء غطى على كل شيء . وكل ما في الفلاة يبعث الرهبة والهيبة فتجيش النفس خوفاً وفزعاً وتتوقع العدوَ رغم عدم وجوده :

وجـاشت اليـه النفس خـوفـاً ، وخـالـه
مصـاباً ، ولـو أسى على غير مـرصد[٥٤]

وناقة طرفة - في معلقته - والتي تشاركه همومه واغترابه ، ليست كناقة غيره من الشعراء ، هي أسطورة من الأساطير ، تحدث فيها القدماء والمحدثون فرأوا فيها شيئاً عجباً . وغرابة الامر تكمن - كما يقولون - في أن طرفة وقف جهده على وصفها كما لم يقف أحد مثله[٥٥] . فهو يقيم أمامنا هيكلاً جسدياً كامل الخلقة[٥٦] ويرسم للعرب الذين يعجبون بالنوق تمثالا بديعاً[٥٧] وهو في صنعه لم يكن شاعراً فحسب بل كان مصوراً أيضاً[٥٨] .

وأنكر آخرون هذه الاهمية التي أعطيت لناقة طرفة ، فرأوا فيها دمية صماء حيث لا حركة ولا حياة[٥٩] بل رأى بعضهم أن وصفها أقحم اقحاماً على المعلقة ، وأن طرفة لا يُجاري مهارة لبيد وغيره من الشعراء في حركتها واطرادها[٦٠] .

وكم نجانب الصواب عندما ننظر الى الصورة الخارجية لما يطرحه الشاعر من موضوعات فاصلين بين تلك الصورة وما تحمله من مضمون ثم بين الصورة وما يحياه الفنان في داخله . فطرفة في هذا السرد الطويل لأوصاف ناقته لم يكن يعنيه أبداً أن يقدم هيكلا جسدياً أو أن يكون منسقاً فيما يعرض أو أن ينحت تمثالاً بديعاً يُعجب الذين يعجبون بالنوق ، ولا سيما وهو في حالة يَعُبُّ فيها من الغربة والمشقة والتعب . ولم يكن عمله هذا هواية يستعيد بها عصر مخاطرات وفتوة وشباب ينتقل بعد أن يفرغ منها الى الفخر بنفسه وكأنها وسيلة فنية لا غير ![٦١] فالناقة في الشعر القديم « مجمع كل شعور بالغائية الواضحة والغامضة ، هي خالقة الأساطير التي أخرجت الشعر العربي من الغناء الساذج الى التصدى الملح لفكرة المشكلات »[٦٢] .

وإذا كان طرفة يُسرف في إيراد صفاتها ويفصل في ذكر ملامحها القوية ، فما ذلك إلا ليُمثّل قدرة الإنسان على المقاومة ، وليشبع غريزة البقاء التي تلح عليه أمام صورة الفناء العاثلة في الطلل والصحراء[٦٣] . ومن ثم حشد هذه التشبيهات التي تستوعب كل مظاهر البناء والتشييد والقوة ليجعلها قادرة على التحدى والنزال والمقاومة[٦٤] . فشعر ذنبها جناحا نسر أبيض ، وفخذاها بابا قصر منيف أملس ، وأضلاعها المتصلة بفقارها قسي ، وابطاها في السعة بيتان من بيوت بقر الوحش ، وهي في علوها أشبه بقنطرة رجل رومي ، وجنباها سقف أسند بعضه الى بعض وعنقها في ارتفاعه وانتصابه دفة سفينة ، وجمجمتها في الدقة والصلابة سندان أو مبرد . وهي صور ذات دلالة واضحة على قدرته واعتداده بنفسه ورفضه للهزيمة أو التراجع ثم أليس فيها لون من التحدي للصعوبات الممكنة وغير الممكنة ومحاولة للانتصار على هواجس النفس ومخاوفها في غربتها من المجهول وغير المتوقع ؟ الا تبدو ناقة طرفة كالملجأ الأمين الذي يقي صاحبه من كثير ؟ فهذه الصور الكثيرة في تآلفها ، تُعبر عن الوقاية والاحتماء وتوحي بحالة الشاعر النفسية ومعاناته من الاغتراب والخوف وحاجته الى الاختباء[٦٥] .

www.dorat-ghawas.com

وكان نفسية طرفة المتشائمة والمتوجسة خوفاً تأبى الا أن تفيض بمخزونها من الالم وحس الاغتراب والشعور بعدوان الدهر في حديثه عن الناقة . يقول :

أمون كالواح الأران نسأتها
على لاحب ، كأنه ظهر برجد[٦٦]

ألم يجد الشاعر صورة يُعبر فيها عن خَلقها الموثّق سوى التابوت الذي يحملون فيه الموتى ؟ الا يوحي هذا بأن الشاعر يرى ناقته مثله تماماً مثقلة بالهموم شاعرة بمشاق الحياة وآلامها ؟ .

ثم هو يصفها بانها حذرةٌ دائماً ، متخوفة تنتصب أذناها لكل صوت خفي . ويجعل منها ثوراً وحشياً منفرداً في الصحراء لا وحش معه يلهيه ويؤنسه فيضفي على الصورة فزعاً وترقباً :

وصادقتا سمع التوجس للسرى
لجرس خفي او لصوت مندد
مؤللتان ، تعرف العتق منهما
كسامعتي شاة بحومل ، مفرد
وأروع نباض ، أحذّ ململم
كمرداة صخر من صفيح مصمد[٦٧]

ثم تتداعى الى عقل طرفة بعد وصفه الهائل صورة غريبة وملفتة :

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا
على رسلها مطروفة لم تشدد
إذا رجعت في صوتها خلت صوتها
تجاوب أظار على ربع ردى[٦٨]

ففتاته تغني متئدة في غنائها . ولكن كيف يتناهى صوتها وترديد نفحاتها في أذني طرفة ؟ انه يرى فيها أصوات نوق تجأر وقد فقدت أولادها ! أليس في هذا شيء ملفت حقاً ؟ هل تخلق الصور العظيمة من المتناقضات ؟ ربما !

وأخيراً هذه الظعائن التي تخيلها طرفة في سفن مهاجرة تشق عباب البحر وتركب المخاطر نحو البعيد تهتدي حيناً وتتخبط أحياناً :

كأن حدوج المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن
يجور بها الملاح طوراً ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها
كما قسم الترب المفايل باليد[٦٩]

هل هي ضرب من الرؤى الجماعية التي تدل على مخاوف الجماعة وآمالها في الانتقال من طور لاخر ؟ هل هي علامة على الرغبة الكامنة في النمو ؟ هل هي حلم يحقق الإنسان من ورائه مغنما أو مكسبا ؟[٧٠] . لنا أن نقول ذلك ولكن الذي لا يقل أهمية عن هذا أن أحساس الشاعر بالضياع والتيه هو الذي يجعله كمن يضرب بالرمل فيملي عليه مثل هذه الصور ليخرج بها عن نطاق المتعارف عليه .

* فنه صورة من غربة نفسه وغربة فكره .

رأى الدكتور طه حسين في طرفة صاحب لذة رقيقة تصدر عن تفكير وعن فلسفة وعن اختبار للحياة وعن حكم دقيق على حوادثها وخطوبها ونتائجها ورأى في إيمانه المطلق بأن الموت هو آخر الحياة ونهايتها سبباً في اندفاعه الى لذات الحياة ومتعها يشرب الخمر ويستمتع بالحب ويغيث الملهوف ويجيب دعوة الداعي[٧١] . وقد ترسخت هذه الفكرة في ذهنه حتى أصبحت مبدأ لا يحيد عنه وأضحت أمور المتعة هدفاً يحيا من أجله :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عُوّدى
فمنهن سبقي العاذلات بشربة
كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرّي اذا ما نادى المضاف محنبا
كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد[٧٢]

ولم يعد الموت يثير فيه هلعاً أو يدفع الى زهد بل هو يثير نهمه الى الحياة والاسراف في المتع :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي[٧٣]

وهو لا يعرض هذه القضية عرضاً سطحياً بل هو يجادل فيها ويناقش بحرارة :

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى
بعيداً غداً ما أقرب اليوم من غد[٧٤]

ويقول :

يا راقد الليل مسروراً بأوله
إن الحوادث قد يطرقن أسحارا[٧٥]

ويقول :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخى وثنياه في اليد[٧٦]

وإذا كان قانون الموت يساوي بين الجميع مهما اختلفت طبقاتهم ومنازلهم فلم التهالك على المال واقتنائه وحرمان النفس متع من متعها وما تصبو إليه ؟ :

أرى قبر نحّام بخيل بماله
كقبر غوي في البطالة مفسد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى المال كنزاً ناقصاً كل ليلة
وما تنقص الأيام والدهر ينفد

www.dorat-ghawas.com

ثم يصل الى هذه النتيجة الساخرة بينه وبين منكري منهجه :

كـريـم يـروي نفسـه فـي حيـاتـه
.ستعلم إن مِتنـا غـدا أينـا الصـدي !

ثم ماذا بعد ؟ هل هناك أكثر هلعاً من غربة الوحدة والانعزال في القبر بعد الموت ، حيث لا أنيس ولا أمل في الخلاص ؟ وهذه الغربة أكثر ما يفزع طرفة ويقلقه ومن ثم هو يهرب منها بالتأكيد على أن يعب المرء من الملذات قبل أن يداهمه الموت ، ساخراً من قيم مجتمعه وسخافة معتقداتهم :

فـذرنـي أروى هـامتي فـي حيـاتهـا
مخـافـة شـرب في الحيـاة مصـرد[٧٧]

واعتبر قومه نهجه خروجاً على العرف وإساءة الى القبيلة ومفاهيمها . وأحس طرفة بتغير قومه نحوه ، وأنهم عاجزون عن فهمه ، غير مدركين لحاجاته الملحه التي يعبر فيها عن استقلاليته وشخصيته . وفرض قومه عليه العزل وأقاموا بينهم وبينه الحواجز وكأنهم يخشون على أنفسهم عدوى :

ومـا زال تشـرابـي الخمـور ولـذتـي
وبيـعـي وإنفـاقـي طـريفـي ومتلـدي
إلـى أن تحـامتنـي الـعشيـرة كلهـا
وأفـردت إفـراد البـعيـر المـعبـد[٧٨]

ومع ما في البيت الثاني من إحساس مرير بالغربة والألم إلا أن طرفة في إلحاحه على مشهد الخمرة يبدو وكأنه يرسم لقومه حياته الخاصة التي ارتضاها واقتنع بها ، ويُمثّل نمطاً من التحدي لموقف القبيلة من خلال ثقته بنفسه وقدرته على إيجاد علاقات جديدة بدلًا من تلك التي افتقدها بخلعه[٧٩] ومن ثم هو مكتف بهؤلاء الأصدقاء الباقين لديه من الأغنياء الذين تربطهم به فلسفة مشتركة والفقراء المحتاجين الى عونه :

رأيـت بنـي غبـراء لا ينكـرونـنـي
ولا أهـل هـذاك الطـراف الممـدد[٨٠]

أليس في اختياره لهذين الفريقين أصدقاء شيء من المفارقة ؟ ألا يوحي هذا بشيء من الاضطراب النفسي في التعامل مع الاخرين ؟ ثم لنستمع اليه وهو يقول :

ولسـت بحـلال التـلاع مخـافـة
ولكـن متـى يسـترفـد القـوم أرفـد
وإن تبـغني فـي حلقـة القـوم تلقنـي
وإن تقتنصني في الحـوانيت تصطـد[٨١]

لماذا هو يستتر بالتلاع إن لم يكن ذلك خوفاً ؟ أليس في هذا الاستتار إحساس داخلي ملح بالمفارقة بينه وبين قومه ؟ إنه يحبهم ويودهم ولكنهم مع أرائه وفكره على طَرَفَي نقيض ، يَزوْن فيه فتى مغامراً طائشاً يفهم الحياة من جانبها الخاطىء . وهو مؤمن بفكره لا يلتقي معهم ومن ثم هو يعتزلهم وينطوي على نفسه ، ولكنه في نفس الوقت قوي الايمان بواجبه الاجتماعي يخاطر في سبيله مهما كلفه ذلك من تضحية . هو في خدمة قومه ولكنه لا يستطيع ان يتخلى عن أهوائه ونزعاته التي أضحت مثلًا ومبادىء ! إنك تجده في حلقات القوم يشير ويستشار ، ولكنك أيضاً تلقاه في حوانيت الخمارين يَعُبُّ من اللذة عبّاً ! ولنتأمل جيداً كم في كلمتي « تقتنصني » و « تصطد » من إيحاء بالغ الدلالة على الندرة والتفرد . ولعل هذا الإحساس بندرة شخصه ومثاله هو ما جعله يقول :

نـدامـاي بيض كـالنجـوم وقينـة
تـروح عليـنـا بيـن بـرد ومجسـد

فيجمع بين الندامى البيض الاحرار والقيان ، عائدا الى المفارقة ، جاداً هازلًا يعيش قمة المثال ويستمتع أقصى غايات الاستمتاع معا .

وإذا كانت مثل هذه المفارقات تنقل لنا فكرة الحرية التي تشغل عقل طرفة وفكرة النقاء - التي نفهمها من كلمة بيض - فلسنا نرى أن طرفة في بيته يتطلع الى النجوم من حيث هي مصائر الانسان ، وأن فكرة النقاء تعني النقاء من الدرن الذي يتناقله الناس من رأي في مصير الانسان[٨٢] .

لقد وجد طرفة في أندية القوم وفي الحوانيت نفسه المغتربة أبداً[٨٣] فغشيها لعله يجد فيها عزاء وسلوى وصداقة تقبل به . وطرفة في اتخاذه هذا النمط من الحياة لم يكن الوحيد بين الشعراء ، فالصورة التي تبرز في الشعر القديم هي صورة رجل يغتصب المتعة اغتصاباً ، وحياة الفرسان تقوم قديماً على الخمر والقتال والنساء[٨٤] . وقد تجلى موقف الفرد في الخروج على القبيلة في مظاهر متعددة عبر من خلالها عن ضيقه بتقاليدها ، فالأعشى اتخذ من الاستهتار وسيلة للتخلص من عناء الحياة وقباحتها ، ومسلكه يمثل عدم الجري على سنة التقليد لان له وعياً آخر لمعنى الحياة وقيمها[٨٥] . ومن ثم جاءت خمرياته مغايرة لسائر الشعر الجاهلي تشيع فيها الحياة ، وكشف عن الصلة العاطفية بين الشاعر وبين موضوعه[٨٦] . هل تعاطي الخمرة والتغني بها يمثل لوناً من ألوان الغربة ينفصل فيه الانسان عن واقعه بكل ما فيه ، وينفصل عن ذاته المثقلة بالمجتمع[٨٧] ربما! فشيوعها في الشعر وفي الحياة دلالة رغبة في الاستقلال وتعبير عن الفردية المتململة .

وطرفة خرج عن الضوابط الاجتماعية وتمرد على مقومات الحياة القبلية مستبدلًا بهذه جميعاً ما يسميه « لذة الفتى » والتي تقوم أساساً على الخمر والمرأة والبطولة الاجتماعية وسعى الى تحقيق شخصيته من خلالها . هو لم يرفض عادات القبيلة وتقاليدها إلا إذا تعارضت مع حياته الحرة التي ترضي مشاعره واحساساته الخاصة . فإذا ما حدث عدم التوافق غلب موقفه الخاص على موقف القبيلة وانتصر لذاته على ذات الجماعة[٨٨] . إن القبيلة تُسمي ما يفعله طرفة استهتاراً وطرفة يرى فيه فهماً جديداً للحياة . لقد حاول أن يُرضي قومه كما أرضى نفسه ، فتقرب الى قومه ولكنهم هضموا حقوقه ، وبالغوا في التدخل بشؤونه الخاصة ، فأحَسَّ - وظُلم الأقارب يمزقه - أنه لا بد أن يتصدى لمنطق القبيلة وظلمها منتصراً لمنطقه الفردي ، ويصور موقف القبيلة من خلال ابن عمه تصويراً فيه كثير من

www.dorat-ghawas.com

المرارة والاسى :

فمالي أراني وابن عمي مالكا
متى أدن منه ينأ عني ويبعد
يلوم وما أدري علام يلومني
كما لامني في الحي قرط بن معبد
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند[٨٩]

وبين منطق القبيلة ومنطق الفرد عاش طرفة حياة مشحونة بالغربة واليأس والظلم معا . ولم يجد سبيلاً الا أن يهرب الى حياةٍ لاهيةٍ عابثةٍ متحدياً سلطة التقليد باحثاً عن ملجأ يجد فيه نفسه التائهة . ولم يعد التراث القبلي اغلى ممتلكات طرفة كما هو الحال عند غيره ، بل أصبح همه أن يصور شؤونه الخاصة وانفعالاته وتجاربه ، منطلقاً من فكره الخاص وفلسفته التي اقتنع بها .

لقد شعر طرفة بالمفارقة الحادة بينه وبين قبيلته ، بين الفكر الفردي والفكر الجماعي ، وشعر بتفرده وتميزه :

فإن متُّ فانعيني بما أنا أهله
وشقي علي الجيب يا بنة معبد

وتزداد غربته عندما ينظر حوله فيجد أن الحياة يسود فيها منطق النفاق والمكر ، فتختلط عليه الامور ، وتتاصل لديه الغربة النفسية :

فلم يبق الاشامت بمصيبة
ونو حسد ما تستقيم طرائقه
عدو ، صديق ، عابس ، مبتسم
يعاملني بالمكر حين أوافقه
يجاملني جهرا إذا ما لقيته
وفي الصدر ما تهدا هديراً شقاشقه
إذا ما رأى الدنيا علي تهللت
بإقبالها يوماً صفت لي خلائقه
وإن آل خَطْبٌ أو ألَمّت مخلّة
أوصّله فيها ، بدت لي صواعقه[٩٠]

ويضيق عليه الدهر ويشعر أنه في أسر أو سجن فيصور هذه الغربة تصويراً رائعاً :

أرقتُ لِهَمٍّ أسهرتني طوارقه
وساعدني دمعي ففاضت سوابقه
وبِتُّ أراعي النجم لا أطعم الكرى
كأني أسير طائرُ القلب خافقه
يعالج اغلال الحديد مُكَبَّلاً
وقد عدن بيضا كالثغام مفارقه
ولم أبك طيفاً زار وهناً خياله
ولا شاذناً في الخدر كنت أعانقه
ولا شاقني ربع خلا من أنيسه
فاضمت به آرامه وزقازقه
ولكن دهراً ضاق بعد اتساعه
وجاءت أمورٌ وسُعتُها مضايقه

إنها غربة النفس ، ووحدة الذات ، وشعورها المرير بتبعيات المجتمع تفرض فرضاً تم هذا النفور الذي يفلي وعدم قدرة النفس على تحقيق ما تصبو اليه ، وأخيراً هذا الارتداد الى النفس حيث لا يجد غيرها يحاورها وتحاوره ، ويقص عليها إحساسه الحزين في صمت مردداً في اسماعها قناعته الراسخة :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود
ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد[٩١]

وبعد :

فقد كان طرفة ظاهرة فريدة في الشعر القديم ، واذا كان الفن جزءاً لا يتجزأ من سيرة الشاعر ، وانعكاساً لطريقته في معاناة الحياة ، صورة من تاريخ الأفكار[٩٢] فشعر طرفة مثل هذا . واذا كان العمل الفني دلالة وجدانية ونسقاً رمزياً للتعبير عن الشعور[٩٣] فشعر طرفة يفيض من القلب وينبعث عن الجوانح الثائرة أو الطامحة . وإذا كان بعض النقاد يرون في الشعر العربي القديم عامة أنه شعر السطوح الخارجية للنفس والحياة ، وأنه يشعرنا بالفراغ الداخلي لأن أصحابه كانوا يعيشون خارج الحدود النفسية[٩٤] ويرون أن شعر طرفة هو في صميمه شعر التشبيهات الحسية[٩٥] . فليس أدل على زيف الادعاء الاول من شعر طرفة ، فهو شعر النفس وشعر الحياة ، ينقل داخل النفس ولا يغفل علاقتها مع محيطها .

أما كون طرفة يستخدم التشبيهات الحسية فهذا لا يعيب الشاعر ما دام يخلق عالماً لغوياً خاصاً به فيبني شكلاً وعلاقات وتراكيب جديدة تنبع من تجربته الحية ورؤيته المباشرة[٩٦] فأصالة الشاعر تكمن في معرفته مداخل اللغة ومخارجها ولطائفها ودقائقها ثم في إضافة شيء من عطر الشاعر اليها[٩٧] .

عند ذلك يترك صورته على أسلوبه وينفرد بهذا الأسلوب لا يشاركه فيه غيره ، ويصح عندما نقرأه أن نردد « الاسلوب هو الرجل والرجل هو الأسلوب »[٩٨] ، فالتعبير رابطة حية تجمع بين الفنان وعمله ومناخ الشعر ناجم عن العلاقات بين الكلمات والعبارات والابيات الشعرية[٩٩] . فاذا ما تأثر الفنان بمحيطه فإن هذا لا ينفي معادلة الفرد الشخصية في تحديد طرازه الفني[١٠٠] .

وقد كان طرفة ذا لغة خاصة طبعها بشخصه ، فامتزجت تعابيره بانفعالات نفسه وصيحات فكره ، وكان قادراً باستمرار على نقل حالته الشعورية الخاصة بتجربته ، فتسربت شخصيته في آثاره حتى كاد يسمعنا نبض قلبه ، ودبيب خواطره ، وهواجس نفسه ، وتلك سمة من سمات العبقريين[١٠١] وأتاح له الفن أن ينفذ الى باطن الحياة وأن يسبر أغوار الواقع فامتد بملكات الإدراك الحسي الى أبعد مدى . اقتحم حياته الخاصة فاضاء كثيراً من جوانب نفسه الخفية . وعرف مجتمعه على حقيقته فتواصل معه بكل - قوة ونشاط . ولكنه اصطدم بمعتقداته الراسخة وتقاليده الصماء ، وبين صراع الذات لاثبات نفسها وصراع الجماعة لفرض

www.dorat-ghawas.com

الواقع المرفوض اعترت طرفة حالة من التوتر وعدم التوازن ، ومن هذا الواقع المضطرب المتناقض تولد لديه الفن . كان ذا خيال وثاب وحس مرهف فحبا فنه الحياة والشعور والنشاط وكانت حياته قطعة موسيقية أئتلفت بها عناصر الحس والخيال والفكر ، فجاء شعره صورة عن حياته في اتحاد هذه القوى النفسية وسيطرة الاحساس عليها جميعاً[١٠٢] .

حقاً أن طرفة استمد مصادر صوره من بيئته ، ولكنه وظفها في خدمة قضيته الخاصة بمالها من بعد إنساني . صحيح أنه كان مادياً ، ولكنه أحال المادية البحته الى وصفية تخدم موقفه النفسي وتنقل حقائق الوجود الجاهلي . هو يرتبط في تصويره بالواقع الطبيعي والاجتماعي ولكن صوره وثيقة الاتصال بواقعه النفسي[١٠٣] وهل الأداء النفسي سوى حصيلة الوجود الخارجي والوجود الداخلي ومنطقة العمل الفني نفسه[١٠٤] ؟ . فالصور في الشعر ليست أشياء منعزلة نتلقاها فرادى بل هي تنبت وتنمو وتتجه بالقصيدة اتجاهاً موحداً[١٠٥] . وإذا كان طرفة قد بدا متناقضاً في عرض فكره في بعض الأحيان الا أنه كان يملك زمام التعبير والقدرة على إبراز موضوعه . والشاعر الحقيقي هو الذي يسيطر على موضوعه ويوفق في النفاذ الى فكرته العامة المسيطرة وإن تناقض في التفاصيل أو بدا غير منطقي في الجزئيات[١٠٦] .

لقد عاش طرفة غريباً مع نفسه ، ومغترباً مع قومه وفي غير قومه ، فانسابت مشاعر الغربة الى فنه . فصبغ هذا الفن بالحنين والحزن والحنو وكشف عن أبعاد إنسانية وحقق رؤى جديدة وجعلها اكثر وعياً بمشاعرنا الأعمق . فاذا كانت مهمة الفن هي نقل التجربة الفردية والاجتماعية الى الآخرين[١٠٧] فقد مَثَّل طرفة هذا الدور تمثيلاً صادقاً . فقد نشد الحق الذي يحياه في نفسه أياً كان مفهومه ، فسكب عاطفته فيه . ولم يقف عند حدود التأثير النفسي بل ارتقى الى مستوى التفكير ، فقدم شعراً يجمع بين العاطفة والفكر فَأَكَّد نوازع نفسه وأهواء مجتمعه فكان غريباً في عرضه وفي فكره ، مغترباً بين أهله وعند نفسه .

الهوامش

(١) انظر : عبد الرزاق الخشروم ، الغربة في الشعر الجاهلي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٢ م ، ص ٣٢ .
(٢) انظر : جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام دار العلم للملايين - بيروت ط ٢ ١٩٧٦ ١ / ٢٧١ .
(٣) انظر : الضبي (المفضلّ بن محمد بن يعلى توفي ١٧٨ هـ) ، المفضليات ، تحقيق احمد شاكر وعبد السلام هارون بيروت ط ٦ ص ٢٩١
(٤) انظر الاعشى (ميمون بن قيس) ديوانه تحقيق محمد محمد حسين مؤسسة الرسالة بيروت ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م . ص ٨٧ ، ١٣٩ .
(٥) انظر : نجيب محمد البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث الهجري - دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٠ م ص ١٤٩ .
(٦) جواد علي ، المفصل ١ / ٢٧٧ .
(٧) عبد الرزاق الخشروم ، الغربة في الشعر الجاهلي ٤٥ .
(٨) جواد علي ، المفصل ١ / ٢٦٢ وما بعدها
(٩) انظر : أحلام الزعيم ، ابو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد دار العودة بيروت ٦٧
(١٠) انظر : عبد الله التطاوي ، في القصيدة الجاهلية والاموية مكتبة غريب - القاهرة ١٩٨١ ص ٧٠
(١١) انظر : احسان سركيس ، مدخل الى الأدب الجاهلي ، دار الطليعة - بيروت ٧٩ م ص ١٨١ .
(١٢) انظر : محمد عبد المنعم خفاجي ، الشعر الجاهلي دار الكتاب اللبناني - بيروت ط ٣ ١٩٧٣ م . ص ٤٠٨ .
(١٣) انظر : عائشة عبد الرحمن ، قيم جديدة للادب العربي القاهرة ١٩٦٧ م ص ٣٦ .
(١٤) امرؤ القيس ، ديوانه تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف - مصر ١٩٨٥ م
(١٥) انظر : عنترة بن شداد ، ديوانه ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي القاهرة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م ص ٢٧٠ .
(١٦) انظر : النابغة الذبياني ، ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٥ ص ٧٢ .
(١٧) انظر ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٣ - ٢٧٦ هـ) الشعر والشعراء ، طبعة ليدن ١٩٠٢ م ص ٥٨ . وانظر الجمحي (محمد بن سلام ١٣٩ هـ - ٢٣١) طبقات الشعراء شرح محمود محمد شاكر مطبعة المدني - القاهرة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م ١ / ١٣٨ . وانظر : القيرواني (أبو الحسن بن رشيق ٣٩٠ هـ - ٤٥٩ م) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣ ص ١٠٢ وانظر : القرشي (أبو زيد محمد بن الخطاب) جمهرة أشعار العرب تحقيق علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر ١٩٧٧ م ص ٨٩ .
(١٨) ابن قتيبة ، الشعراء والشعراء ٨٩ .
(١٩) المرجع السابق
(٢٠) المرجع السابق
(٢١) انظر : طرفة بن العبد ، ديوانه شرح الاعلم الشمنتري (٤١٠ هـ - ٤٧٦ م) مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ص ١٠٧ .
(٢٢) انظر : محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ، عالم الكتب - بيروت ط ١ ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ص ١٧٧ .
(٢٣) طرفة بن العبد ، ديوانه ٣١ .
(٢٤) طرفة بن العبد ، ديوانه ٨٦ .
(٢٥) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ٨٨ .
(٢٦) طرفة بن العبد ، ديوانه ٧٢ .
(٢٧) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ٢٠٠ وما بعدها .
(٢٨) المرجع السابق ١٢٦ .
(٢٩) انظر : مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي - بيروت ٩٤ هـ ٧٤ م ، ٣ / ٢٣٩ .
(٣٠) طرفة بن العبد ، ديوانه ٤٦ .
(٣١) المرجع السابق ٢٧ .
(٣٢) انظر : مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ م ص ١٦٥ .

www.dorat-ghawas.com

(٣٣) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٣٠ .
(٣٤) انظر محمد مندور ، في الميزان الجديد ، مكتبة نهضة مصر ط ٣ ص ١٣٨ .
(٣٥) انظر سعد الدين شلبي ، الاصول الفنية للشعر الجاهلي مكتبة غريب ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٢ م ، ص ١٤٠ .
(٣٦) طرفة بن العبد ، ديوانه ٨٦ .
(٣٧) طرفة بن العبد ، ديوانه ٨١ .
(٣٨) طرفة بن العبد ، ديوانه ٩١ .
(٣٩) انظر : عز الدين اسماعيل ، مجلة شعر عدد ٢ ، فبراير ١٩٦٤ م .
(٤٠) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ٩٧ وما بعدها .
(٤١) طرفة بن العبد ، ديوانه ٥٩ .
(٤٢) طرفة بن العبد ، ديوانه ٥٢ .

(٤٣) المرجع السابق ، ٩ .
(٤٤) المرجع السابق ، ٨ .
(٤٥) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١٦٠ .
(٤٦) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٥٢ .
(٤٧) المرجع السابق ٥١ .
(٤٨) المرجع السابق ١١٩ .
(٤٩) انظر : مطاع الصفدي وايليا حاوي ، موسوعة الشعر العربي شركة خياط – بيروت ١٩٧٤ م ، ٢ : ٢٠١
(٥٠) انظر : عبد الفتاح نافع ، الشعراء المتيمون في الجاهلية والاسلام ، مكتبة الكتاني اربد ٨٦ ص ٦٥ .

(٥١) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٢
(٥٢) محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد حياته وشعره ١١٨
(٥٣) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٣٤
(٥٤) المرجع السابق ٢٦
(٥٥) سعد الدين شلبي ، الاصول الفنية للشعر الجاهلي ٢٨٣ ، وانظر محمد عبد المنعم خفاجي ، الشعر الجاهلي ٣٦٦ ، وانظر محمد علي الهاشمي ، طرفة بن العبد ١١٦ .
(٥٦) انظر : الصورة في الشعر العربي حتى اخر القرن الثاني الهجري ، دار الاندلس بيروت ، ١٩٨٠ ص ٨٦ وانظر : بطرس البستاني . ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، دار مارون عبود – بيروت ١٩٧٩ م ص ١٢١ .
(٥٧) انظر : شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ ص ٢٢٣ .
(٥٨) انظر محمد عبد العزيز الكفراوي ، الشعر العربي بين الجمود والتطور ، دار نهضة مصر – القاهرة – ط ٢ ص ٢٢ .
(٥٩) انظر : يحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه ، مؤسسة الرسالة – بيروت ط ٣ ١٩٨٢ م ص ٢١٨ .
(٦٠) انظر : طه حسين ، حديث الاربعاء ، دار المعارف بمصر ١ / ٥٨ .
(٦١) محمد عبد العزيز الكفراوي ، الشعر العربي بين الجمود والتطور ٦١ .
(٦٢) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١١٥ .
(٦٣) المرجع السابق ١٦٣ .
(٦٤) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٢ .
(٦٥) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية في شعرنا القديم ١٦٣ .
(٦٦) طرفة بن العبد ، ديوانه ١٢ .
(٦٧) طرفة بن العبد ، ديوانه ٢٤ .
(٦٨) المرجع السابق ٣٠ .
(٦٩) المرجع السابق ٧ .
(٧٠) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ٦٨ .
(٧١) طه حسين ، حديث الاربعاء ١ ، ٦٣
(٧٢) طرفة بن العبد ، ديوانه ٣٢ .
(٧٣) المرجع السابق ٣١ .
(٧٤) المرجع نفسه ٤٨ .
(٧٥) المرجع نفسه ١٥٦ .
(٧٦) نفسه ٣٧ .
(٧٧) نفسه ٣٥ .
(٧٨) نفسه ٣١ .
(٧٩) عبد الله التطاوي ، في القصيدة الجاهلية والاموية ٧٣ .
(٨٠) طرفة بن العبد ، ديوانه ٣١ .
(٨١) المرجع السابق ٢٨ .
(٨٢) مصطفى ناصف ، قراءة ثانية لشعرنا القديم ١٦٨ .
(٨٣) علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ٨٦ .
(٨٤) الاعشى الكبير ، ديوانه ٣٢ .
(٨٥) إحسان سركيس ، مدخل الى الادب الجاهلي ٢٤٣ .
(٨٦) ديوان الاعشى ٣٢ .
(٨٧) احسان سركيس ، مدخل الى الادب الجاهلي ٢٤١
(٨٨) عبد الله التطاوي ، في القصيدة الجاهلية والاموية ٧٤ .
(٨٩) طرفة بن العبد ، ديوانه ٣٧ .
(٩٠) المرجع السابق ١٧٨ .
(٩١) المرجع نفسه ٤٨ .
(٩٢) انظر : ليون ادل فن السيرة الادبية ترجمة صدقي حطاب مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ، نيويورك ١٩٧٣ م . ص ٦٥
(٩٣) انظر : زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن مكتبة مصر ١٩٧٧ م ص ٤٦ ، وزكريا ابراهيم فلسفة الفن في الفكر المعاصر دار مصر للطباعة ١٩٦٦ م ص ٣١١ .
(٩٤) انظر : شكري عياد ، الرؤيا المقيدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ص ١٩٢ ، وانظر أنور المعداوي ، علي محمود طه الشاعر والانسان ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ٨٦ ص ١٣١ ، ١٧٠ .
(٩٥) محمد عبد العزيز الفراوي ، الشعر العربي بين الجمود والتطور ٢٢ .
(٩٦) انظر : مصطفى بدوي ، دراسات في الشعر والمسرح ، دار المعرفة – القاهرة ١٩٦٠ م ص ٤٩ .
(٩٧) شكري عياد ، الرؤيا المقيدة ٢٤ .
(٩٨) ليون ادل ، فن السيرة الادبية ٦٥ .
(٩٩) انظر : رضوان الشهال ، عن الشعر ومسائل الفن ، منشورات وزارة الثقافة – دمشق ١٩٨٦ م ، ص ٨٦ .
(١٠٠) زكريا ابراهيم ، مشكلة الفن ١٥١ .
(١٠١) انظر : علي أدهم ، على هامش الادب والنقد ، دار الفكر العربي – القاهرة (بدون تاريخ) ص ٤٧ .
(١٠٢) بطرس البستاني ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ٧٩ .
(١٠٣) عبد الله التطاوي ، في القصيدة الجاهلية والاموية ٧٦ .
(١٠٤) شكري عياد ، الرؤيا المقيدة ١٩٢ .
(١٠٥) انظر مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، دار الاندلس – بيروت ١٤٠١ هـ ١٩٨١ ص ٢٥٤
(١٠٦) علي أدهم ، على هامش الادب والنقد ٤٧ .
(١٠٧) انظر : كارلوني وفيللو تطور النقد الادبي الحديث ترجمة سعد يونس – مكتبة الحياة بيروت (بدون تاريخ) ص ١٢٢ . وانظر : محمد مندور في الأدب والنقد . دار نهضة مصر (بدون تاريخ) ص ٣٩ . وانظر عبد الحميد يونس ، الأسس الفنية للنقد الادبي ، المطبعة النموذجية القاهرة ١٩٤٩ م ص ١١٧ .

www.dorat-ghawas.com